البناء اللغوي للكناية في القرآن الكريم
ـ سورة طه أنموذجا ـ

د. نور الهدى محمد الأمين مباركية

إن للبلاغة العربية الفضل الأول في بيان أسرار اللغة العربية وآدابها والكشف عن أسرارها وكنوزها وخصائصها الجمالية التي امتازت بها، وفاقت بها جميع لغات العالم بما احتوت عليه من معان سامية، وأفكار نبيلة لا حصر لها، وألفاظ فصيحة موحية ومؤثرة مع كثرة مرادفاتها، وقدرة فائقة على الجمع بين الجزالة والرقة، الفحولة والعذوبة، واتساعها في المجازات، وإصابتها في التشبيهات، وروعتها وقرب مأخذها في الاستعارات، ولطفها وتأدبها في الكنايات، حتى حازت على كل بلاغة وبيان، ومما يؤكد هذه الحقيقة التي لا مراء فيها أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية الفصحى، تشريفا لها وتنويها بقدرها وتعظيما لأمتها الناطقين بها وقد حوته معنى وأسلوبا، شكلا ومضمونا، على ما فيه من الفصاحة وروعة البيان وجمال الأسلوب وبراعة التعبير وقدرة فائقة على الإقناع والتأثير، فكان ذلك شهادة لها بعظمتها وتفوقها على كل لغات العالم.

إن البلاغة طريق وسبيل لمعرفة الإعجاز في القرآن الكريم، فكانت لها منزلة عالية ومكانة رفيعة بين الفنون والآداب الأخرى، لأنها تتعلق بقضية الإعجاز القرآني، وهذا الإعجاز القرآني العظيم لا يمكن فهمه ولا الوصول إلى غاياته السامية إلّا بدراسة البلاغة العربية دراسة تفصيلية هادفة.

إن القرآن الكريم في أعلى درجات البلاغة من حيث نغماته، ومن حيث الصورة البيانية التي في ألفاظه وعباراته، حتى إن كل عبارة تلقي في الفكر والخيال بصورة بيانية تنبثق منها مفردة وبتآخيها مع أخواتها في العبارة تتكون صورة بيانية أخرى، هذا إلى جانب الرنين الموسيقي الذي تنفعل به الأسماع فينفذ إلى القلوب في معان محكمة، وحقائق بينة، وشرائع منظمة للعلاقات والسلوك الإنساني القويم الهادي إلى الصراط المستقيم.

ومما سبق تبينا طريقنا وتوجهنا وجهة تسمو بنا إلى المعالي، وأردنا أن يكون موضوعنا نقطة التقاء بين البلاغة والقرآن الكريم، فاتخذنا علم البيان وبالضبط "الكناية" للتحليق في فضاء القرآن الشاسع، وبين رحابة هذا النص العظيم وجدنا أنفسنا أمام "سورة طه" لتكون مفتاح بحثنا. وسنسلط الضوء في هذه الدراسة على مفهوم الكناية، بين المجاز والكناية، أقسام الكناية، أهمية الكناية وجماليتها، الكناية في القرآن الكريم وأخيرا سنكون في رحاب السورة الكريمة لنتوقف على ظاهرة الكناية فيها.

١ / مفهوم الكناية :

أ/ لغة :

جاء في لسان العرب مادة: (كنى): "الكناية: أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره يكني كناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يدل عليه"١ وعلى هذا يمكننا القول عن الكناية من حيث المعنى اللغوي أنها ليست بعيدة عن الرمز، فالكناية إذا إيماء إلى المعنى وتلميح، أو هي مخاطبة ذكاء المتلقي فلا يذكر اللفظ الموضوع للمعنى المقصود، ولكن يلجأ إلى مرادفه ليجعله دليلا عليه.

ومن هنا قول أحدهم (الطويل):

وإني لأكنو عن قذور بغيرها وأُعرب أحيانا بها وأصارح

لقد استخدم الشاعر "كنوت" والأفصح "كنيت" لأن المصدر كناية، ولم يسمع كناوة، فالكناية في نظر الشاعر عدم استخدام اللفظ الحقيقي، بل هي لجوء إلى لفظ يشير إلى المعنى ويومئ إليه، إنها طريقة للتعبير غير المباشر عن الأشياء٢ .

أما "الرمز" "فهو ما أخفي من الكلام وأصله الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم"٣، ومن ذلك قوله تعالى: <قال ربّ اجعل لي آية قال آيتك ألّا تكلم الناس ثلاثة أيام إلّا رمزا> آل عمران الآية ٤١.

ب/ اصطلاحا:

جاء في معجم المصطلحات أن الكناية "لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي"٤ . هذا التعريف مأخوذ من تعريف بهاء الدين السبكي في كتابه: "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح" الذي جاء فيه أنها: "لفظ أطلق وأريد به لازم معناه الحقيقي مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المراد"٥ . أما البلاغيون فيعرفونها على أنها:

- عبد القادر الجرجاني: في كتابه "دلائل الإعجاز": "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى وهو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه"٦.
- أما السكاكي فيعرفها على أنها: "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: زيد طويل النجاد، فينتقل منه إلى ملزومه وهو طول القامة"٧. ولتوضيح هذين التعريفين نعطي المثالين الآتيين:
- زيد طويل النجاد (علاقة السيف): كناية عن طول قامة زيد، ولكن لا مانع من إيراد المعنى الأصلي وهو طول علاقة السيف.
- حاتم كثير الرماد: كناية عن كرمه فهو يشعل دائما نار القرى لهداية الضيفان. ولكن لا مانع أيضا في إيراد المعنى الأصلي، وهو وفرة الرماد حول بيته؛ لأن النيران المشتعلة باستمرار تخلف الرماد الكثير المتراكم ففي الكناية يتجاذب المعنيان الحر في والمجازي الدلالة، وللمتلقي أن يفك الصورة ويدخل إلى أعماقها.

٢/ بين الكناية والمجاز:

المجاز هو أن يقصد باللفظ معناه المجازي دون جواز تفسيره على المعنى الحقيقي أما الكناية فهي أن يقصد بها المعنى المجازي مع جواز أن يقصد بها المعنى الحقيقي. كما رأينا . .

مثال:

أ/ نبت الربيع: هنا لا يمكن أن يكون المقصود المعنى الحقيقي للربيع، فالمعنى المقصود هنا هو المعنى المجازي للربيع (العشب) ففي الجملة إذا مجاز.

ب/ فلان طويل الحزام: الإشارة هنا إلى أن عظمة بطن فلان واضحة، وفي المثال نوع من المجاز لأن المعنى تجاوز المعنى الحقيقي (طول الحزام) إلى المعنى المجازي (عظيم البطن). فالعبارة هنا تحمل معناها الحقيقي أيضا؛ لأن عظيم البطن لابد أن يكون طويل الحزام وفي هذا القول كناية.

فالكناية إذا تخالف المجاز من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيقي مع إرادة لازمة، أما المجاز فلا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المانعة من إرادته٨ .

٣/ أقسام الكناية:

تنقسم الكناية تبعا لما تدل عليه إلى ثلاثة أقسام هي:

كناية عن صفة، كناية عن موصوف، كناية عن نسبة.

أ/ كناية عن صفة:

هي الكناية التي يستلزم لفظها صفة، ولا نقصد هنا بالصفة النعت، كما نلفت إلى أن الصفة هنا تضمر ويذكر الموصوف وحده، كقول الخنساء في أخيها صخر:

طويل النجاد، رفيع العماد كثير الرماد إذا ما شتا

فطويل النجاد كناية عن شجاعته، ورفيع العماد كناية عن عظمته في قومه، وكثير الرماد كناية عن كرمه، وكل هذه الكنايات كني بها عن صفات، ومثل هذا قول الشاعر:

فمسّاهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب

فقد كنى بالبسط الحرير عن السيادة والعزة وهي صفة، وبالبسط التراب عن الحاجة والذل وهي صفة أيضا٩ .

لقد وردت الكناية كثيرا في الشعر القديم والحديث ومنها قول المتنبي:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في التراب خاتمه

ففي الشطر الثاني كناية عن طول الوقوف وهي كناية عن صفة. كما أن في البيت تشبيها بليغا بين المصدر (وقوف) الذي اشتق من الفعل (وقف) في الشطر الأول، وبين المصدر (وقوف) في الشطر الثاني وهذه الكناية نوعان:

١. كناية قريبة: وهي التي لا يحتاج فيها للانتقال من المعنى الحقيقي للكلام، إلى المعنى المجازي إلى أكثر من خطوة واحدة. مثال: جاء في الحديث الشريف: "اليد العليا خير من اليد السفلى"، فاليد العليا كناية عن العطاء واليد السفلى كناية عن الأخذ، فالمقصود من الحديث يدرك بسرعة لعدم وجود واسطة.

٢. كناية بعيدة: ويحتاج فيها إلى أكثر من خطوة واحدة للوصول إلى المعنى المجازي المراد من الكلام. مثال: فلان كثير الرماد، فالمعنى المجازي هو (الكرم)، لكن للوصول إليه لابد من تفسيرات عدة:

- كثرة الرماد ناجمة عن كثرة الإشعال
- كثرة الإشعال ناجمة عن كثرة الطبخ
- ومن كان كثير الطبخ كان كثير الضيوف
- وكثرة الضيوف تدل على الكرم.

ب/ كناية عن موصوف:

وهي الكناية التي يستلزم لفظها ذاتا ومفهوم، ويكنى فيها عن الذات كالرجل المرأة، القوم ،الوطن، القلب ،اليد وما إلى ذلك.

- يقال في لبنان: مدينة الشمس كناية عن بعلبك.
- ونقول مخاطبين أبناء مصر: يا أبناء النيل.
- ونقول عن العرب: أبناء الضاد كناية عن اللغة العربية.

ومن أمثلتها قوله تعالى: "أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين" سورة الزخرف الآية ١٨، ففي قوله تعالى (ينشأ في الحلية) أي الزينة، كناية عن موصوف هو البنات.

وكقول المتنبي مفتخرا:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

ففي قوله (تسعى به قدم) كناية عن موصوف هو الإنسان: أراد أنه خير الناس١٠ ، ومنها قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

ففي قوله (ركب المطايا) كناية عن موصوف هو الناس، ومنها قول المتنبي عند فراقه سيف الدولة:

وما ربة القرط المليح مكانه بأجزع من رب الحسام المصمم

كنى (بربة القرط) عن المرأة، و(برب الحسام) عن الرجل، ففي كليهما كناية عن موصوف١١ .

ومنها أيضا قول أحمد شوقي:

يا ابنة اليم ما أبوك بخيل ماله مولعا بمنع وحبس؟

فلقد كنى شوقي (بابنة اليم) عن السفينة، وكنى ب (أبوك) عن البحر ففي كليهما كناية عن موصوف.

ومنها أيضا قول الشاعر في مدح دار للعلوم:

وجَدَتْ فيك بنت عدنان دار ذكَّرَتها بدواة الأعراب

فـ (بنت عدنان) كناية عن اللغة العربية، وهي هنا موصوف وصفتها هنا أنها مختصة بعدنان وغيره من الأقوام فعدل عن قوله لغة عدنان، أو لغة عرب عدنان، إلى قوله (بنت عدنان) لأن هذا أجمل في النفس.

ج/ كناية عن نسبة:

هي الكناية التي يستلزم لفظها نسبة بين الصفة وصاحبيها المذكورين في اللفظ، تنفرد عن النوعين السابقين بأن المعنى الأصلي للكلام غير مرادفيها، وبأننا نصرح فيها بذكر الصفة المراد إثباتها للموصوف، وإن كنا نميل بها عن الموصوف نفسه إلى ما له اتصال به.

أمثلة: هذا بيت شرف: إذ نسبنا الشرف إلى أصحاب البيت من طريق إسنادنا هذا الشرف إلى البيت.

ومنها ما قال الكميت:

أناس بهم عزت قريش فأصبحت وفيهم خَبَاء المُكْرَمات المُطَنَّبُ

ففي قوله: (وفيهم خباء المكرمات المطنب) كناية عن نسبة المكرمات إلى بني هاشم عندما جعلها في خيامهم١٢

وكقول البحتري:

أو ما رأيت المجد ألقى رحْلَه في آل طلحة ثم لم يتحول

ففي قوله: (المجد ألقى رحله في آل طلحة) كناية عن نسبة، إذ جعل المجد يحط رحاله في ديار آل طلحة فنسب المجد إليهم.

وكقول زياد الأعجم:

إن المروءة والسماحة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

ناسبا المروءة والسماحة والندى إلى ابن الحشرج، عندما جعلها في قبته١٣ .

الكناية باعتبار الوسائط (اللوازم) والسياق:

تنقسم الكناية أيضا باعتبار سياقها ووسائطها إلى أربعة أقسام هي:

أ/ التعريض:

١. لغة: نقيض التصريح... وهو في خطبة المرأة (في عدتها): "أن يتكلم بكلام يشبه خطبتها ولا يصرح به".

٢. اصطلاحا: إطلاق الكلام والإشارة به إلى معنى آخر نستنتجه من سياق الكلام، يقول البرقوقي: "التعريض إمالة الكلام إلى عرض أي جانب يدل على المقصود، يقال عرّضتُ بفلان و لفلان: إذا قلت قولا وأنت تعنيه فكأنما أشرت به إلى جانب وأنت تريد جانبا آخر"

ومثاله قول الشاعر:

وذاك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل، فكيف الخصية السود؟

فقد أطلق "المتنبي" المعنى في هذا البيت فكان المعنى العام مفهوما واضحا، وهو عجز الفحول البيض عن المعروف والخصية السود كذلك بطبيعة الحال، إلا أنه أضمر المعنى الذي يريد، كأنه يريد أن يقول لـ "الكافور" أنه إذا كان سيف الدولة ـ وهو أمير أبيض ـ عاجز عن المعروف، فكيف يكون هو قادرا وهو عبد أسود خصي؟ فالمعنى الحقيقي خفي ومخبأ وراء القول الصريح١٤ . ومثله أن تقول أمام البخيل : ما أقبح البخل! معرضا به، وكقولك أمام المتكبر: ما أجمل التواضع! معرضا به.

ومن ذلك قول المتنبي معرضا بسيف الدولة وهو يمدح كافور:

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى فلا الحمد مسكوبا ولا المال باقيا

ومنه أيضا قول الحجاج معرضا بمن تقدمه من الأمراء في ولاية العراق:

لست براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

ولهذا قيل: لا يحسن التعريض إلا ثلبا (ذمّا)، وهو أخفى من الكناية١٥ .

ب/ التلويح:

١. لغة: من فعل لوّح؛ أي "أشار من بعيد مطلقا بأي شيء كان..." ومن هذا المعنى سميت الكناية.

٢. اصطلاحا: هو كناية تكثر فيها الوسائط بلا تعريض، فيكون الفضاء الفاصل بين المعنى المكني عنه والمعنى الحرفي كبيرا، وسميت بالتلويح لأنها تقوم على الإشارة من بعيد، ويتميز التلويح بأمرين:

- بعد ما بين المعنى الحرفي والمعنى المقصود لكثرة الوسائط.
- قرب في الفهم لوضوح العلاقات وسهولة العبور من واسطة إلى أخرى، ومن النص الحرفي إلى المعنى المكني عنه.

ومثاله قول الشاعر:

وما بك فيّا من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

المراد بقوله "جبان الكلب" كناية عن كرم الرجل بأسلوب التلويح؛ لأن جبن الكلب ناجم عم كثرة القادمين إلى دار صاحبه، وكثرة القادمين ناجمة عن كونه سيدا كريما إذ لا يزدحم الناس إلا على أبواب الكرم.

وفي قوله "مهزول الفصيل" كناية عن كرم الرجل بأسلوب التلويح وقد توصلنا إلى صفة الكرم عبر الوسائط الآتية:

- الفصيل ولد الناقة ولا يكون هزيلا إلا إذا لم تتح له فرص الرضاع من أطباء (أثداء أمه) الناقة.

وأمه لا ترضعه بسبب غيابها عنه غيابا أبديا، وغيابها الأبدي ناجم عن كون صاحبها قد نحرها لضيوفه؛ لأن لحمها طري وفيه لذة للآكلين.

وهكذا نرى أن الكنايتين "جبان الكلب" و "مهزول الفصيل" تحتاجان إلى كثير من الوسائط للوصول إلى الكناية المقصودة١٦ .

ج/ الرمز:

١. لغة: تصويت خفي باللسان كالهمس... وقيل "الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ أي شيء أشرت إليه..."١٧ وبهذا المعنى جاءت الآية: "آيتك ألّا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا" آل عمران الآية: ٤١.

وكذلك بهذا المعنى جاء قول الشاعر:

رمزت إليّ مخافة من بعلها من غير أن تبدي هناك كلامها

٢. اصطلاحا: هو كناية قليلة الوسائط خفية اللوازم، أو الكناية القائمة على مسافة قريبة فيكون فيها الخفاء نسبيا كأن تقول:

عريض الوسادة كناية عن أنه أبله، فعرض الوسادة يستلزم كبرا في الرأس وطولا في العنق، وهذان الطولان من مستلزمات البلاهة عند العرب، ومنه أيضا وصف القاسي بأنه غليظ الكبد.

وأيضا قول الشاعر:

لا بلبل يزورها شوقا ولا شحروره

فالبلبل هنا يرمز إلى الإنسان الحر، والشحرورة ترمز إلى الفتاة الحرة اللطيفة في موطنها ونلاحظ أن المعنى هنا ليس تعريفا.١٧

د/ الإيماء والإشارة:

١. لغة: يقال "أشار إليه وعليه بيده وبعينه وبحاجبيه أومأ..."

٢. اصطلاحا: هي كل كناية قلت وسائطها ووضحت لوازمها من غير تعريض، أو هي كناية تتوسط بين التلويح والرمز لقلة الوسائط فيها وبوضوح نسبي في العلاقة بين المعنى الحرفي والمعنى المراد.

تتميز بأنها قليلة الوسائط فتدل على المعنى المراد دلالة مباشرة كأنها تومئ إليه، مثالها قول أبي تمام في وصف الإبل:

أبين فما يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد

وفي ذلك إفادة بأن أبا سعيد كريم لا يخفي كرمه على أحد.

وقوله أيضا:

نعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تطعه أنامله

فبسط الكف كناية عن الكرم وكذلك عدم انثنائها للقبض، ولا يحتاج المرء هنا إلى وسائط كثيرة للربط بين بسط الكف والكرم لا بين عدم انثنائها وبينه١٨ .

وقول شاعر آخر:

متى تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمر من تميم

فقد أشار إلى أن الكرم في تميم ثم إن مسلمة بن عمرو من هذه القبيلة، ونستنتج بالتالي أنه كريم ولا نحتاج في هذا إلى وسائط، وليس هذا كذلك من باب التعريض١٩ .

٤ / أهمية الكناية وجماليتها:

الغرض من الكناية المبالغة والبعد عن المباشرة، والمبالغة في الصفة أو الصفات سبيل إلى تثبيتها في نفوس المتلقين لذلك كانت الكناية عند الجاحظ أبلغ من التصريح، وهي أبلغ من الإفصاح عند عبد القاهر الجرجاني فللكناية قيمة بلاغية تقدمها اللمحة الدالة فالشاعر والمبدع عندما يغطيان المعنى الحقيقي بهذا الستار الشفاف يدعوان المتلقي إلى اكتشاف هذا المعنى المتواري وراء المعنى المجازي، فيشعر بلذة الكشف عنه وتفكيك عناصره والتدرج في وصفها تمهيدا للوصول إلى المعنى المقصود، فهناك حركة نفسية دائمة عند المتلقي يستحضرها الخيال من تجاربه الخاصة ومن ثقافته وعادات مجتمعه ليصل إلى المعنى المراد فيتقرر المعنى ويتأكد، والمهم في الكناية كمية الصور الذهنية التي يستحضرها المتلقي تباعا كأنها ومضات تتكثف وتتراكم لتشكل في النهاية معنى ثابتا يطمئن إليه العقل ويتأثر به القلب٢٠ .

وللكناية مظهر بلاغي راق لأنها تقدم الحقيقة مشفوعة بالأدلة، والمعقول متلبسا ثوب المحسوس والكنايات تعبير عن الحياة الاجتماعية بأحاديث يومية راقية معبرة عن ثقافة المجتمع وذوقه مثالها: كأن على رؤوسهم الطير: كناية عن الهدوء والصمت والإصغاء بدقة٢١ .

ومن مميزات أسلوب الكناية عند الجرجاني أنه لا يدل على المعنى مباشرة ولكنه ينقل المتلقي من طريق الدلالات ليصل إلى المعنى المقصود من وراء ظلال التركيب، وهذا الذي سماه معنى المعنى، من هنا كان الكلام على كناية قريبة وأخرى بعيدة، وعلى كناية جلية وأخرى خفية، ولكن هذه الوسائط سبب من أسباب قوة المعنى وفخامته٢٢ .

٥ / الكناية في القرآن الكريم:

إن العرب تعد الكناية من البراعة والبلاغة، وهي عندهم أبلغ من التصريح، قال الطرطوسي: وأكثر أمثالهم الفصيحة على مجاري الكنايات، وقد ألف أبو عبيد وغيره كتبا في الأمثال ومنها قولهم: فلان عفيف الإزار طاهر الذيل ولم يحصن فرجه وفي الحديث: "كانوا إذا دخلوا العشر أيقظ أهله وشد المئزر" فكنوا عن ترك الوطء بشد المئزر، وكنى عن الجماع بالعُسَيلة وعن النساء بالقوارير لضعف قلوبهن، ويكنون عن الزوجة بربة البيت وعن الأعمى بالمحجوب والمكفوف، وعن الأبرص بالوضاح والأبرش وغير ذلك، وهو كثير في القرآن الكريم قال تعالى: < ولا جناح عليكم فيما عرّضتم من خطبة النساء أو أكننتم > البقرة الآية٢٣٥.

أ/ أسباب الكناية: لها عدة أسباب منها:

١/ التنبيه إلى عظم القدرة كقوله تعالى: <هو الذي خلقكم من نفس واحدة> الأعراف الآية ١٨٩ كناية عن آدم عليه السلام.

٢/ فطنة المخاطب كقوله تعالى في قصة داود عليه السلام: <خصمان بغى بعضنا على بعض> ص الآية ٢٢ فكنى داود يخصم على لسان ملكين تعريضا.

وكقوله تعالى: <فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة> كناية عن ألا تعاندوا عند ظهور المعجزة فتمسكم هذه النار العظيمة.

وقوله تعالى: <إن جعلنا في أعناقهم أغلالا> يس الآية ٨ فهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى: لا تظن أنك مقصر في إنذارهم فإنا نحن المانعون لهم من الإيمان، فقد جعلناهم حطبا للنار ليقوى التذاذ المؤمن للنعيم كما لا تتبين لذة الصحيح إلا عند رؤية المريض.

٣/ ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه كقوله تعالى: < إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم> آل عمران الآية ٩٠ كنى بنفي قبول التوبة على الكفر لأنه يرادفها.

٤/ أن يفحش ذكره في السمع فيكنى عنه بما لا ينبو عنه الطبع كقوله تعالى: <وإذا مروا باللغو مروا كراما> الفرقان الآية ٧٢؛ أي كنوا عن لفظه ولم يوردوه بصيغته.

وقوله تعالى: <ولكن لا تواعدهن سرا> البقرة ٢٣٥ كنى عن الجماع بالسر.

ومن عادة القرآن العظيم الكناية عن الجماع باللمس و الملامسة والرفث والدخول والنكاح ونحوهن قال تعالى: <فالآن باشروهن> البقرة ١٨٧ فكنى عن الجماع بالمباشرة لما فيه من التقاء البشرتين.

وقوله تعالى في الكناية عنهن: <هن لباس لكم وانتم لباس لهن> البقرة الآية ١٨٧ واللباس من الملابسة وهي الاختلاط والجماع.

وقوله تعالى: <وراودته التي هو في بيتها> يوسف ٢٣ كناية عما تطلب المرأة من الرجل.

٥/ تحسين اللفظ كقوله تعالى: <بيض مكنون> الصافات الآية ٤٩ فالعرب كانت عادتهم الكناية عن حرائر النساء بالبيض، قال امرؤ القيس:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعتُ من لهو بها غير معجل

٦/ قصد البلاغة كقوله تعالى: < أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين> الزخرف ١٨ إنه سبحانه وتعالى كنى عن النساء أنهن ينشأن في الترفه والتزين والتشاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك والمراد نفي ذلك ـ يعني الأنوثة ـ عن الملائكة وكونهم بنات الله تعالى.

٧/ قصد المبالغة في التشنيع كقوله تعالى حكاية عن اليهود لعنهم الله: < وقالت اليهود يد الله مغلولة> المائدة ٦٤ فالغل كناية عن البخل كقوله تعالى: <ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك> الإسراء ٢٩.

وقوله تعالى: < بل يداه مبسوطتان> المائدة ٦٤ كناية عن كرمه وسخائه وجوده.

٨/ التنبيه إلى المصير كقوله تعالى: <تبت يد أبي لهب> المسد الآية ١ أي: جهنمي مصيره إلى اللهب، وقوله تعالى: <حمالة الحطب> المسد الآية ٤ أي: نمامة ومصيرها أن تكون حطبا لجهنم.

٩/ أن يعمد إلى جملة ورد معناها إلى خلاف الظاهر فيأخذ الخلاصة منها من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة أو المجاز فتعبر بها عن مقصودك، وهذه الكناية استنبطها الزمخشري وذلك مثل قوله تعالى: < الرحمان على العرش استوى> طه الآية ٥ فإنها كناية عن الملك لأن الاستواء على السرير لا يحصل إلا مع الملك فجعلوه كناية له.

وقوله تعالى: <فاخلع نعليك> طه الآية ١٢ والمقصود منها الاستغراق في الخدمة من غير الذهاب إلى نعل وخلعه.٢٣

٦ / في رحاب السورة الكريمة :

السورة	رقم الآية	الكناية	نوعها	وظيفتها
طه	٠٢	<ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى>	كناية عن إعجاز القرآن	كناية عن القرآن الكريم الذي نسجته العناية الإلهية باللغة العربية وتعريضا للمشركين وتحميقا لهم إذا كانوا يتفاعلون مع الشعر وتأخذهم الحمية به فما بالكم والقرآن أفصح نص بياني لغوي وهذا تجهيل لهم.
	٠٤	<الرحمان على العرش استوى>	كناية عن الملك	الدقة في التعبير والعظمة في المعنى والإيجاز في التركيب والوضوح والبعد عن التعقيد اللفظي والسمو بالمعاني
	١٢	<فاخلع نعليك>	كناية عن الاستغراق في الخدمة من غير ذهاب إلى نعل	البلاغة والتعبير بإيجاز ووضوح
	١٥	<إن الساعة آتية أكاد أخفيها>	كناية عن يوم القيامة	الدقة في التعبير عن يوم الحساب وما سيقع فيه
	٩٤	<قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي	كناية عن الاستعطاف والترقيق	كناية عن الاستعطاف والترقيق وحسن المعاملة
	١١٠	<يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم>	كناية عن أمر الدنيا والآخرة	كناية عن صفة الإحاطة والشمول "الظاهر والباطن"
	١١٨	<إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى>	كناية عن نعيم الجنة	التنبيه إلى ملك الله عز وجل
	١٢٤	<ونحشره يوم القيامة أعمى>	كناية عن ضلالة الغافلين والمعرضين عن ذكر الله	التنبيه إلى مصير الكافرين بأن مآلهم جهنم وظلمتها ولذلك استعمل لفظة أعمى .

ومما سبق نستنتج ما يلي:

١/ لقد أظهرت لنا الدراسة أن الكناية من التعبيرات البيانية الغنية بالاعتبارات والمزايا، أما الملاحظات البلاغية فهي تضفي على المعنى جمالا وتزيده قوة، ويستطيع الأديب المتمكن والبليغ المتمرس أن يحقق بأسلوب الكناية العديد من المقاصد والأهداف البلاغية.

٢/ إن الكناية أسلوب حضاري مهذب يتضح لما من خلال تحليل بعض الشواهد، والحق أن الكنايات القرآنية تأتي في المقدمة إذا عددنا الدقائق الفنية التي أهلت القرآن الكريم لأن يكون معجزا بنظمه، فمن الفصاحة والبلاغة أن تضع الألفاظ موضعها الذي لا يحسن فيه غيرها، ومن وضع الألفاظ الذي لا يحسن فيه غيرها أن تكنى بها عما لا يحسن التصريح به من قول أو فعل.

٣/ إبراز المعاني في صور حسية تبين قبحها وجمالها وذلك من خلال تحليل بعض شواهد الدراسة.

٤/ إن الكناية تخرج بالمعنى من العموم إلى الخصوص، فكلمة كريم يدخل تحتها من يتصف بالكرم، ولكن عبارة "كثيرة الرماد" أفادت معنى خاص دالا على كثرة الضيافة، وهذا المعنى قد لا يتوفر في كل من يتصف بالكرم، فالكرم الذي هو معنى مجرد قد تحول إلى معنى حسي في "كثير الرماد".

٥/ ومن محاسن الكناية تهويل المعنى وشدة وقعه في النفس لحصول العظة والخشية.

٦/ إن الكناية أبلغ من التصريح لأنها ـ في كثير من صورها ـ تعطي الدعوى ودليلها، والقضية وبرهانها، والكلام المقرون بدليله أقوى من

الكلام العاري من الدليل والبرهان.

٧/ في الكناية تقوية للأداء الأدبي بإخراج الأمور المعنوية في صورة أشياء مادية تدركها الحواس، وتجسيد المعاني في صور محسوسة تزخر بالحياة والحركة يكون أدعى لتأكيدها ورسوخها في النفس.

٨/ يستطاع بأسلوب الكناية التعمية والتغطية وإخفاء ما يود المتكلم إخفاءه، حرصا على المكني عنه ورغبة في عدم تردده على الألسنة.

٩/ الكناية طريق من طرق الإيجاز والاختصار، كما أنها وسيلة للإقناع، حيث تقدم لنا المعاني مؤكدة بدليلها ويتضح لنا ذلك من خلال تحليل بعض شواهد هذه الدراسة .

واضح أن للكناية هدف تجميل الكلام وتحسينه وإظهاره في حلة جديدة دون إسقاف أو مجرد قصد التلاعب بالعبارات، وإنما لمقتضى غاية أصيلة، ثم كان الحسن والجمال ناتجا عضويا لها، وإلا لو كانت الكناية لمجرد العبث دون غاية أفضت إليها مصلحة لكانت مستقبحة، إذ لها غاية صرف قبح القبيح، وإظهار حسن الحسن.

الخاتمة :

بعد هذا الغوص في بحر لا ساحل له فلربما لم نف الموضوع حقه من الجهد والبحث، فالحديث عن القرآن في كل جانب من جوانبه أمر يكاد يكون مستحيلا على الجهود البشرية إلى يوم القيامة، وقد تبين لنا من خلال البحث النتائج التالية:

١. إن بناء السورة في كل أجزائها على الصورة البيانية خير حامل لمضامينها العظيمة.

٢. تفوق الكناية القرآنية ببلاغتها الفريدة لاحتوائها على الإجمال والاختصار في المعنى والتركيب.

٣. قدرة القرآن الكريم العجيبة على احتواء الصور البيانية بمختلف تشكيلاتها. وقد أدى نسيج السورة المتشابك وإشباعها بوافر من الإيحاءات في كل كلمة من كلماتها إلى إبراز جمالية الصورة البيانية فيها المؤسسة على ارتباط الاستعارات والكنايات والتشبيهات وتشابكها مكونة صورة مركبة من جمال المعاني وبهاءها.

٤. قدرة البلاغة العربية على تبيين الإعجاز القرآني والوقوف عند جماليته وإيحاءاته.

وأخيرا وحسب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا إن سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد".

المراجع المعتمدة في البحث:

١. ابن منظور: لسان العرب، مادة كنى، ج ١٢، دار صادر، ٢٠٠٣، د ط، ص ٥٦٥.
٢. وهبة المهندس: معجم المصطلحات العربية، د ت، د ط، ص ١٧١.
٣. المرجع نفسه، ص ن.
٤. المرجع نفسه، ص ١٧٥.
٥. محمد رمضان الجربي: البلاغة التطبيقية ـ دراسة تحليلية لعلم البيان ـ، كلية الآداب، جامعة الفاتح (مالطا)، ٢٠٠٠، د ط، ص ١٨٠.
٦. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، ص ٣٤.
٧. السكاكي: مفتاح العلوم، دار الطليعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ط ١، ص ٦٣٨.
٨. محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس/ لبنان، ط١، ٢٠٠٣، ص ٣٨٩.
٩. المرجع نفسه: ص ٩٥.
١٠. محمد رمضان الجربي: البلاغة التطبيقية، ص ٩٧،
١١. حنفي شرف: الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق، ج ٢، د ط ، د ت، ص ٢٢٦.
١٢. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١٣ ، ١٩٦٣، ص ٣٢٠.
١٣. محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة، ص ٢٨٥.
١٤. أحمد أحمد البدوي: عبد القاهر الجرجاني، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة/ مصر، ط ٢، د ت، ص ٧٦.
١٥. محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة، ص ٢٩٣.
١٦. المرجع نفسه، ص ٢٩٤.
١٧. محمد رمضان الجربي: البلاغة التطبيقية، ص ١٠٤/ ١٠٥.
١٨. محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة، ص ٢٩٨.
١٩. حنفي شرف: الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق، ص ٢٣٠/ ٢٣١.
٢٠. المرجع نفسه: ص ٢٣٢.
٢١. المرجع نفسه: ص ٢٤٣.
٢٢. ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، دار صادر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ط ١، ص ٣١٢.